(١١) الدروز والنصيرية
(١٢) الباطنية : الروافض والصوفية والبكتاشية
(١٣) اخوة المسلمين تحتاج لرفع النفور المذهبي
(١٤) الاحاديث الموضوعة
(١٥) كتب المواعظ
(١٦) عبادة الاموات
(١٧) الاعتقادات الباطلة
(١٨) ضرورة رجوع المسلمين الى الطريق الاول
(١٩) أساس الاسلام الاول النظر التعقلي
(٢٠) لا يكفر المسلم بسهولة
(٢١) لا يوجد تحكم ديني في الاسلامية
(٢٢) النتيجة

هذه هي فصول الكتاب . وسنبذل الجهد لان يكون كاشفا لحق المرض ومحتويا على العلاج النافع وبالله المستعان

نابلس (حسني عبد الهادي)

الرحلة السورية الثانية

—٧—

الحالة السياسية والاحتلال في السواحل

نكتب في هذا الفصل كلمة حق وما كل مايعلم يكتب في مثل هذا الو لان الزمن الذي يلد التاريخ لا يدونه كما قال بعض حكماء الغرب ولان الـ في السياسة يراعى فيها مصالح كثيرة يقع التعارض فيها فيرجح كل ناظر المتعارضات باجتهاده

قد اشترطت علينا السلطة الانكليزية في اعطائنا جواز السفر الى ـ شروطاً ثقيلة أشرنا اليها في الفصل الثاني من هذه الرحلة (ص٤٢٨م٢١) خلا أن نتحامى احداث تهييج سياسي بالكتابة أو الخطابة فوفينا بالشرط وا كـ من الافادة والاستفادة أن نعرف حقيقة الحال ونقول مارى أنه الحق

البلاد وهم النصح للناس بما يجب عليهم من الاتفاق والاتحاد والعلم والاقتصاد.

أما أهل البلاد فقد كان التنافر بين المسلمين والنصارى منهم في السواحل بالغاً أشده فالنصارى كانوا يرون أن ملك البلاد سلب من المسلمين وصار لهم بقوة فرنسة وحمايتها والمسلمون يبكون أسى وحزناً على الدولة العثمانية ويعلقون آمالهم بالامير فيصل الذي ضمن لهم استقلال البلاد وجعلها دولة عربية بمساعدة بريطانية العظمى، فلهذا كانوا في منتهى النفور من الفرنسيس وكان من هؤلاء من يتودد اليهم ويجتهد في استمالة زعمائهم واصحاب المكانة منهم فلا يزيدهم ذلك الا نفوراً منهم ومبالغة في التعلق بفيصل فيضطرهم ذلك الى حصر ثقتهم بالنصاري ومن يتقرب اليهم ويتملق لهم من طلاب المنفعة من المسلمين وان كانوا لا نفوذ لهم ولا تأثير في اهل ملتهم. وقد فصلنا في الفصل السادس من هذه الرحلة ما أخطأ فيه كل من المسلمين والنصارى في هذا الامر وما كان يجب على كل منهم من السعي الى الاتفاق والاتحاد على مصلحة الوطن المشتركة وما سعينا اليه قولا وعملا وكتابة في هذه السبيل وقد كان هذا السعي كله بعد اضطرار السلطة الفرنسية اياي الى الاقامة في بيروت ولي طرابلس عدة اشهر بعد ان كنت عازماً على أن اقيم فيهما عشرة ايام فقط

ذلك بانني عقب المامي ببيروت (في ٤ المحرم سنة ١٣٣٨) قد أصابني زكمة معوية فتأخرت عن زيارة طرابلس الى ١٦ المحرم ولما أردت العودة منها الى بيروت عرض لي تصدي السلطة الاحتلالية ما سأذكره بعد ذكر اجتماعي في بيروت بالمندوب الفرنسي السامي

مقابلة المندوب السامي موسيو جورج بيكو

جاءني في يوم الاثنين (١١ المحرم — ١٧ اكتوبر سنة ١٩١٩) شرطي بيروتي وقال لي اذا كنت تحب أن تقابل القومسير السامي (مسيو جورج بيكو) فهو مستعد لمقابلتك بين الساعة التاسعة صباحا والظهر في الدار التي كانت للوالي فوعدت بالذهاب وذهبت في الساعة العاشرة وقابلته فمكثت معه من الساعة الحادية عشرة الى ما بعد الظهر فاحتفى بي ولطف غاية التلطف ودار الحديث بيننا في ثلاث مسائل

(المسألة الاولى) ما ينكره المسلمون من السلطة الفرنسية. سألني عن عهدي برؤية البلاد وكيف رأيت حال المسلمين اليوم؟ فقلت له ان المسلمين على كونهم لم ينسوا ما انتابهم في آخر زمن الترك من الرزايا والمصائب يبكون عليهم وان

لم تجف دموعهم من الرثاء يوم الاحد ... في هذا الوقت سفي دمهم .
فاجاب بأنه وقع من رجالهم أغلاط كذ ... نكرونها ولكنهم سيتلافونها ،
وأنه على ما ينويه من المساواة بين جميع الطوائف والملل في الوظائف وغيرها
سيجتهد في مراعاة شعور المسلمين الديني بدقة وعناية تامة ، وذكرت له أن أهم
مايهم المسلمين (كما يهم غيرهم أيضا) جعل التعليم باللغة العربية وجعلها هي الرسمية
وعدم تعرض السلطة للاوقاف والتعليم الديني فوعد بذلك وعداً مؤكدا ، وانما
ذكرت له هذا لاتمم منه مايقوله فيه لا لاقتراح شيء عليه .

(المسألة الثانية) ما ينوون عمله في المنطقة الشرقية ، سألته هل تظل على حالها؟
فقال لابد من توحيد الادارة في البلاد كلها ومن وجود المستشارين الفرنسيين
في الداخل كالساحل الا أن الاحتلال العسكري يبقى في الساحل فحسب . قلت
وهل يكون لسورية كلها حاكم واحد كالامير فيصل أم تجعل قسمين لكل منهما
اميراو حاكم وطني عام ؟ قال لا بد من قسمة البلاد الى عدة ولايات او مقاطعات ،
ولا يعلم الآن كيف يكون ذلك لانه يتوقف على ما يكون عليه الصلح مع الترك
لان البلاد لا تزال لهم (بلاد العدو المحتلة)

هذا ما قاله وهو اعلم بغرض حكومته على انهم قسموا البلاد قبل الصلح
مع الدولة فجعلوها بضع دول اكبرها وأشهرها ما سموه (لبنان الكبير)

(المسألة الثالثة) المقابلة والتنظير بين الفرنسيس والانكليز والسياسة الحاضرة
وما ينتظر من التحول والانقلاب فيها ... أطلنا فيها مالم نطل فيما قبلها

قال هو ان الفرنسيس أرق طباعاً وألطف معاشرة من الانكليز فهم يحترمون
الشرقيين وغيرهم ويقابلون أهل الفضل والمكانة بما هم أهل له من الحفاوة
والاكرام وأما الانكليز فتكبرون يزدرون بأقدار الناس — أو ما هذا معناه

قلت ان لطف الفرنسيس وحسن معاشرتهم وقربهم من الشرقيين في ذلك
مشهور كشهرة الانكليز بالجفوة والانكماش والعجب بانفسهم واننا قد اختبرنا هم
في مصر فألفيناهم كما يقال عنهم الا أن آداب الانكليز مثلية في معاشرة من يرضون معاشرته
ولقاء من يودون لقاءه ، ولكن ما جبلوا عليه من الترفع والعجب والاثرة ،
والطمع ومحاولة الانفراد بالسيادة سيفضي بهم الى جميع الامم والشعوب ويؤلبها
عليهم . وذكرت ظلمهم في بلاد العرب بعجمهم والاستئثار وما يقصدون من
مد ظل سلطنتهم (أمبراطوريتهم) من القطر الافريقي من أفريقية والغربي

مد ظل سلطنتهم (امبراطوريتهم) من القطر الافريقي من أفريقية والغربي

من آسية إلى حدود الصين وسيادة سائر البحار وازالة ملك الاسلام من الشرق وجعل جميع الدول العظمى في أوربة عالة عليهم وتبعاً لهم في سياسة العالم (قلت) حتى انني لا أتوقع مجيء يوم ترون فيه من مصلحتكم محالفة الالمان على الانكليز — فوافقني على آرائي في هذه الامور بعد مناقشة في بعضها وقال في توقع الانقلاب في سياسة الحلفاء انه ... محال أو غير بعيد ولكننا الآن متفقون في كل شيء

وبهذه المناسبة ذكرت له خلاصة من مذكرتي التي أرسلتها الى مستر لويد جورج في هذا الموضوع ليعلم أنني لم أقل له ما قلت في الانكليز تقرباً اليه كما يفعل أنصارهم في سورية وانما هو شيء قلته بل كتبته لاعظم رجال الانكليز لانني أعتقده وأعتقد أن استمرارهم على تقاليدهم السياسية القديمة شر لهم وانه سيفضي الى عداوة الامم لهم والخلاف مع حلفائهم الذي اضطرهم الى محالفتهم الخطر الالماني المهدد للفريقين الشأن تعاديهما في بطون التاريخ وقد تجددت بينهما عداوة حسد المهضوم حقه في هذه المحالفة بكثرة خسارته للآخر الذي زاد ربحه على خسارته أضعافاً ولم يرو غليل مطامعه، أعني عداوة اللاتين للانكليز. وقد صرحت بهذا في مذكرتي للوزير البريطاني التي نوهت بذكرها في مقالة (الحقائق الجلية في المسألة العربية) وكان غرضي منها اقناعه بترك قسمة تراث الاسلام لانه لم يتم والاستيلاء باستقلال العرب والترك والفرس وكذا مصر، ولا تزال الايام تصدق بأسبق كل ما كتبته في تلك المذكرة كما صدقت ما كتبته لهم فيما قبلها، ولكن جورج لا يرد كرزون على سياسة الطمع القديمة والتعصب الديني والجنسي الذي يتنافس فيه مستر لويد جورج على مرونته وتقلبه من أكبر أسباب ما تعانيه من الكوارث السياسية وعجزها عن حل شيء منها

بعد هذا الاستطراد أقول انني لم أكن أحاول اقناع مسيو جورج بيكو برأيي لاجل عمل يرجى أن يأتي منه. كيف وقد كان هذا الكلام في أيام تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ التي وضعها هو وصديقه السر مارك سايكس بين الدولتين وكانت والجنود البريطانية تخرج بنفسها وسلاحها من سورية الشمالية كلها وتتركها للجيش الفرنسي بعد تنازل وقع بينهما في سبيل تنفيذها ظهر أثره في سورية كما ظهر في باريس ولندن حتى قالت الصحف السياسية انها نقضت نقضاً ومنهم

موسيو كلمنصو رئيس الوزارة الفرنسية لذلك العهد وكانت فرنسة يومئذ تريد أن تتخذ اتفاق الاحزاب السورية على طلب وحدة البلاد وسيلة لجعلها كلها تحت سيطرتها باسم الانتداب، فعارضتها السياسة الانكليزية بحزب سوري تألف في مصر يطلب أن يكون الانتداب لحكومة الولايات المتحدة ويحمل الامير فيصل لحزبه في الشام على طلب جعل الانتداب لانكلترة وحدها فان لم يمكن فلها ثم لحكومة الولايات المتحدة الامريكية اذا هي لم تقبل وقد كان المظهر الاكبر لهذا التنازع بين السياستين في البلاد أيام المام الوفد الامريكي بها لاستفتاء اهلها في مستقبلهم وفي اختيار الدولة المنتدبة

وفي السابع عشر من المحرم (١٢ اكتوبر) ذهبت من بيروت الى طرابلس والقلمون في سيارة فأقمت فيهما ستة عشر يوما طلبت في أثنائها من الحكومة اعادة وقف جامع القلمون الى ما كنت الامام والمتولي الشرعي له وكانت ادارة الاوقاف تولت أمره منذ بضع سنين وحال انقطاع المواصلات بالحرب العامة دون مطالبتي اياها باعادته الي كما كان في عهد والدي (رحمه الله تعالى) فوافقت لجنة الاوقاف بطرابلس على اعادته وقررت باتفاق الآراء أنني المتولي الشرعي وكتب مأمور الاوقاف بذلك الى مدير أوقاف الولاية في بيروت فأزمعت الذهاب الى بيروت لاتمام هذا الامر الذي جرى لي فيه من العبر ومعرفة الخلل في الحكومة وأخلاق رجالها وسيرتهم ما يعلم به أن جل ما تشكو منه البلاد فهو من اهلها أو بمساعدتهم ويستحق ان يفرد له فصل خاص وانما كلامنا الآن في الحال السياسية

حادثة تعرض السلطة الفرنسية لنا

في الثالث من صفر (٢٨ اكتوبر) أخذت ورقة السفر من طرابلس الى بيروت في باخرة فرنسية تسافر من الميناء ليلا وكنت في الميناء فأردت النزول الى الباخرة فقيل لي ان السفر يتوقف على توقيع السلطة الفرنسية على جواز السفر — وهذا لم يكن من قبل — وكان من التسهيل غير المنتظر أن الشرطة وقفت على الجواز اذ عرفته عليها من تبرع لذلك من معارفنا ومعارفهم ولا أدرة أكان في ذلك دخل متوخى أم لا ولكننا لم نكد نضع متاعنا في الزورق مع متاع كثير من المسافرين الا وفاجأنا الشرطة ففتحوا جميع صناديقهم

... الاسقاط وحفظة الورق ومحفظة ... وسائق الزيارة وفتشوا على ذلك تفتيشاً دقيقاً لم يغفل فيه طيات الثياب ولا جيوبها ثم فتشوا جيوبي وأخذ شرطي جميع الاوراق ودعاني الى الذهاب معه الى ادارة المكس (الجمرك) ففعلنا واعيد المتاع الى حيث كان وطفقوا هناك يقلبون في الاوراق نظراً دقيقاً وكان جل عنايتهم وأشد دقتهم فيما ظنوا بجهلهم وغباوتهم ان فيه أسراراً سياسية ينال مكتشفها أسنى الجوائز عند السلطة الفرنسية وهو فهرس وخمسة اجزاء الثامن من تفسير القرآن راعتهم أرقامه فظنوا فيها الظنون على أني أخبرت الباحث فيه بأنه فهرس لكتاب في التفسير ... فقال يمكن أن يكون كتب في أثنائه شيء سياسي (!!)

ولما طال هذا البحث استأذنت الشرطي في الذهاب الى دار سيدي الشيخ حسن الصفدي لاجل المشاه وصلاتي المشاءين وتغيير الثياب فأبى وقال ان رئيسه (لبنان بك) أمر أن أبقى ثم الى أن يجيء هو من المدينة الى الميناء

ثم في أثناء الساعة الثالثة بعد الغروب جاء شرطي (او قومسير) نحمد الله على ما أتذكر وقال ان لبنان بك أرسله بالنيابة عنه ليأخذني الى دار الحكومة في المدينة لاجل توقيفي فيها (التوقيف في عرف الحكومة التركية هو الحبس توقيف) فاستأذنته بما استأذنت به الاول فلم يأذن وذهبنا الى المدينة بالترام فوضعوني في حجرة من حجر الشرطة نوافذها مكسرة الزجاج وكان فيها مصباح صغير فيه قليل من زيت البترول فقد فانطفأ ولم يجد من في الطارد من الشرطة جيده وكان الماء مقطوعاً عن دار الحكومة وليس في المراحيض ورق للاستنجاء فكان التخلي فيها متعذراً على أمثالنا كما كان النوم متعذراً لان هواءه خانق في طرابلس يأتي من ناحية الجبل الذي يعلوه الثلج فيكون بارداً جداً ثم يكون هواء النهار حاراً بالنسبة اليه ولا سيما في تلك الايام من فصل الخريف

ثم جاءنا الشرطة بفانوس كانوا يتلونه من حجرة الى أخرى ثم علموا ان الحاكم العسكري قد حضر فأخذوا الفانوس وأطفأوه وتركوه لي في حجرتي وتركوه له فيها وقد بلغني بعد ذلك ان سبب ... بعض المقربين اليه من الوجهاء عموا بمسألة توقيفي فيسوءه ذلك وكان وقد النوم وأبدوه بهذا في هذا الرجل موقوف الى النهار وعلم الله ما يكون فلربما ان يثوروا ويهجموا على دار الحكومة لاخراجه عنوة وتكون فتنة كبيرة

وقد نقل الحاكم مع ترجمانه يتطاران في الاوراق ساعة و ٣٠ دقيقة ثم طلبني وبلغني ترجمانه عنه مايأتي :

« انك جئت الى هنا وكان البوليس السري يتعقبك ولما نزلت الى البحر أخذوا أوراقك فوجد فيها شيء يدل على انك تشتغل بالسياسة وفيها ما يدل أيضا على انك رجل مهم غير عادي(١) فأنا لا أريد أن أوقفك هنا واذا كنت تريد السفر الى بيروت فتابع سفرك اليها وأنا أرسل أوراقك الى حاكمها الاداري ليرى رأيه فيها.

قلت أحسنت صنعا فرجالكم في بيروت أجدر بمعرفتي والتعرف مني وانني لأشهر مما تدل عليه الاوراق. قال انك لم تزرني لاعرفك .

ثم قال الترجمان للشرطي (أو القومسير جنا) الذي صحبني خذ هذه الاوراق (وكانت قد وضعت في ظرفين كبيرين ختما بالشمع الاحمر ولا يزالان عندي) وهذا المكتوب وأعطوها لبوليس يسافر مع الشيخ الى بيروت الى دار الحكومة فيها ويجب أن تفهموا هذا البوليس ان يكون رفيقا بغاية الادب لا كما كانوا يفهمون من قبل أنهم مسيطرون على من يصحبونه يتحكمون فيه ويهينونه . وأعطاه ورقة أخرى من الحاكم الى رئيسهم لبنان

ثم صافحت الحاكم وزات معه الى خارج دار الحكومة حيث ركبت عربة وركب معي نسيبي الشيخ حسن وأخي السيد ابراهيم أدهم ولم يفارقا دار الحكومة منذ جاءا معي وركب معنا شرطي يحمل الورق وقصدنا لميناء فألفينا لبنان في الطريق عائدا منها فأعطاه الشرطي رقعة الحاكم له فأرجعه الى دار الحكومة ولم يرض أن اسافر في البحر وأمر جنا بأن يستأجر لي عربة من مالي ويرسلني في البر وكان يتكلم بغلظة وخشونة وعظمة الحاكم القاهر المستبد ، ووكل الى جنا تنفيذ الامر وذهب

وفي أثناء الساعة الثالثة الزوالية بعد نصف الليل أحضرت المركبة وأجرتها ٤٥٠ قرشا مصريا صحيحا كما زعموا وليس لي أن أعارض والشرطي الذي يحمل الورق فأوصاه جنا بما يأتي .

اذا صادفت في الطريق أحداً يريد أخذ الاوراق منك فأطلق عليه الرصاص

(١) كان في تلك الاوراق قوانين وقرارات لبعض الجمعيات ومكتوبات من بعض المشهورين في سورية والشرق حتى مصر والغرب حتى مراكش فيها اخبار مصر

واذا أراد أحد أخذ الشيخ مالك فأطلق الرصاص على رجل الشيخ (أو قال رجليه) وعلى من يحاول أخذه

ثم ركب معنا حنا نفسه وجندي مسلح الى أن تجاوزنا بساتين طرابلس لئلا يكون أحد من الاهالي علم بأمرنا وكنوا بين الاشجار ليأخذوني عنوة وهو يجهل أن مثلي لو كان جانيا لترفع عن الهرب فكيف وهو يعلم أنه ليس في أوراقه ما يمكن أن تعاقبه عليه السلطة الفرنسية مهما يكن ضغطها على المسلمين شديدا في ذلك الوقت مقاومة للفكرة العربية والتعلق بفيصل ولو عاقبته لما زادته عقابها الا رفعة قدره، على أن الشرطي الذي ارسل معي كان مسلما فلم يكن محتاجا الى التوصية بالتأدب معي بل كان من اولياء بيتنا ويتمنى لو يكون في خدمتي طول عمره وكان ارساله معي مما أثار عجبه وعجبي فكيف وقد اوصي بتلك الوصية الحمقاء التي كان يتلذذ بمثلها أولئك المتعصبون من اوشاب اللبنانيين الذين يعتقدون أن فرنسة حكمتهم في أشراف المسلمين وعلمائهم — بله عامتهم — تقربا الى يسوع المسيح والرسل والقديسين فكانوا حجة على فرنسة بأنها اما ظالمة سيئة الادارة واما متعصبة سيئة الغية، وسببا لشدة نفور المسلمين واستيائهم منها وتفضيل الانكليز عليها وشرا على وطنهم بإلقاء البغضاء والتفريق بين الفريقين الكبيرين من أهله كما يعلم مما مر في هذه الرحلة ومن بقية هذا الفصل منها، على ان هذا كان مفيدا للمسلمين من حيث انه قوى فيهم نزعة الجنسية العربية وحب الاستقلال ومعرفة قيمته كما قوى فيهم روح الدين وأعاد اليهم بعض ما فقدوا من هدايته . وكان جميع المشتغلين بالسياسة من خصوم الاحتلال الفرنسي يسرون بسوء تصرفها وتصرف أعوانها ولا يحبون أن تحسن الادارة لئلا يميل اليها الجمهور

ولو كان أمثال لبنان وحنا من اصطفاهم الفرنسيس من بيوتات لبنان المعروفة أو من الافراد الذين تربوا تربية ترفع من خسة المنبت ووراثة السوء لما كانوا يعاملون مثلي بهذه المعاملة وان امروا بها أمراً بل كانوا ينصحون للاجنبي الذي يأمرهم به بمثل ما نصح لهما كم طرابلس المسكري من حملوه على خروجه من داره ليلا ليتلافى بنفسه ما كان امر به . فأما ابناء البيوتات فانهم ورثوا الادب الشرقي في احترام الاسر الشريفة والعشائر المحترمة . وأما أبناء التربية الحسنة فيعرفون قيمة العلم والادب ويحترمونهم بالطبع فيتوهمون أنفسهم معهم

عن سوء الادب

وأما ما كان من امر هذه الحادثة في بيروت فهو أننا لما وصلنا اليها وكان ذلك بعد المغرب من يوم الاربعاء صادفنا في الطريق الى دار الحكومة بعض الاصدقاء فسار أحدهم معنا اليها وانتظار آخرون مايعود به من الخبر ليبنوا على مايقع لنا ما يجب أن يعمل للتلافيه ان كان شرا . ولما دخلت دار الحكومة لقيت فيها لدى الباب الشيخ عبد الكريم اليافي نقيب أشراف بيروت من أصدقائنا الاولين(١) وهو موال للسلطة الفرنسية فسألني بعد التحية عما جاء بي الى دار الحكومة في ذلك الوقت فأخبرته فأخبرها كم بيروت أو نائبه بخبري مقرونا بالثناء والتزكية والضمان غير الرسمي، فرضي بأن أخرج واكون حرا في بيروت الى أن ينظروا في هذه الاوراق وينصفوني فيها بشرط أن لا أعمل أعمالا سياسية مضادا لهم فيها

تقريري للمندوب الفرنسي السامي

كان هذا الحدث وسيلة لي الى كتابة تقرير للمعتمد الفرنسي بدأته بالتذكير بما دار بيني وبينه وشرحت فيه ما كنت أجملته في الحديث معه يوم لقائه من اضطهاد المسلمين بما لم أكن أعلمه يومئذ لقرب العهد بالوصول الى بيروت ومنها كون النسبة الى العرب من كبار الذنوب السياسية مع كونه هو وكثير من كبار رجال فرنسة قد صرحوا بأنهم يريدون احياء الجنسية العربية ولغتها ومدنيتها ...

ثم ذكرته فيه بتفضيله الفرنسيس على الانكليز في معرفة أقدار الناس من أفراد أو شعوب وقفيت على ذلك باعلامه بأنني كنت في مصر أنتقد سياسة الانكليز كتابة وخطابة وقولا في المجالس العامة والخاصة وقدمت لهم في أثناء الحرب وبعدها مذكرات في تخطئة سياستهم في المسألتين العربية والاسلامية (حتى التركية) وآخرها المذكرة التي أرسلتها الى وزيرهم مستر لويد جورج وأنذرته فيها بعداوة العالم الاسلامي لهم . وأنه قدمت اليهم تقارير كثيرة في أمثال هذه المسائل (علمت

(١) لآل اليافي مودة لآل بيتنا منذ قرن ونيف على عهد أشهرهم الشيخ عمر اليافي الشاعر الاديب صاحب الديوان المعروف ففي ديوانه بعض القصائد التي مدح بها جدي والدي السيد الشيخ محمد الكبير وله فيه قصائد اخرى ولعلها تاريخ داره في القلعون وقد نقش على رخامة فوق بابها الكبير في أبيات من قصيدة وبيت التاريخ «بل كل من قد حلها ٥ أرخ يراها خير دار» سنة ١٢٣٢

هذا من نائب الملك وغيره) وكانوا يعلمون أن لي علاقة ودية بامراء العرب وزعمائهم وجمعياتهم ، بل عثروا على رسالة تعد تحريضا للعرب على الاجانب وقيل لهم انني أنا الذي طبعتها ووزعتها — ومع هذا كله لم يفتشوا لي منزلا ولا مطبعة ولا أهانوني بقول ولا عمل ولم يقابلني أحد من كبار رجالهم الا بالاحترام اللائق — فأين هذا مما عاملتني به السلطة الفرنسية في طرابلس ؟

قلت : وذكرت له بهذه المناسبة أيضا كلمة عن ذهابي الى الهند سنة ١٩١٢ بدعوة جمعية ندوة العلماء فيها لرياسة المؤتمر الاسلامي وان الانكليز كانوا كارهين لهذه الدعوة وباغضي في الهند ان جواسيسهم كانت تتبعني كما فعلت وتفعل جواسيس فرنسة بطرابلس وبيروت ولكن لم يتعرض أحد لحريتي الشخصية ولا فتحوا صناديقي ولا فتشوا أوراقي . وختمت هذه المسألة بقولي له « وليس هذا بكثير على حرية الانكليز التي فسروا بها من يختبرهم ويختبر غيرهم على تفضيلهم على جميع الشعوب الاوربية في المحربة ومعرفة أقدار الناس »

قلت : بل كان الغريب ما عاملني به أحمد جمال باشا الاتحادي الشهير في بغداد — وكان يومئذ جمال بك — اذ ألممت بها منصرفي من الهند وكنت مجاهرا بالطعن في الاتحاديين والتنفير عنهم وكانت (مجلة العالم الاسلامي) التي يصدرونها في الآستانة تنشر بقلم الشيخ عبد العزيز شاويش اني أقصد العراق لاجل تأليب العرب وانارتهم على الدولة — ولكن جمال باشا لم يأخذ هذا الكلام قضية مسلمة بل سأل نقيب السادة الاشراف السيد عبد الرحمن المحض الكيلاني (رئيس وزارة بغداد لهذا العهد) وبعض كبار العلماء عني فبالغوا في الثناء (وكان هو يعرف عني شيئا وكتب الي قبل سفري ذاك) فأكرمني وزارني ودعاني الى طعامه . فأين هذه المعاملة من أقسى الاتحاديين الذي اشتهر بلقب السفاح من معاملة الفرنسيس لي في بلدي وأنا لم أفعل شيئا يخالف القانون ولا يخل بالامن ولم أدخل في غمرة الاحزاب السياسة الخ

وختمت المذكرة بسوء تأثير هذه الحادثة في أنفس المسلمين الذين صاروا يتعجبون لما كانوا يسمعون من حسن سيرة فرنسة وسوء سيرة الدولة العثمانية وقد تبين لهم أن الترك أعدل وأرحم وأبعد عن التعسف وأحسن اثارة من الفرنسيس ، فصاروا يسألون عن سبب سوء صيت الترك وحسن صيت الدول الاوربية الخ

اعتذار المندوب السامي وغيره

أرسلت المذكرة الى المندوب (القومسير) السامي فلم ألبث أن دعيت الى مقره الرسمي (القومسيرية وكان ذلك في ٨ نوفمبر) فقابلني فيها (مسيو رودريكس) معاون مدير الامور السياسية لانه يحسن العربية وكان هو المترجم بيني وبين المندوب عند تلاقينا منذ شهر فرحب بي أجمل الترحيب وبلغني شدة أسف المندوب السامي لوقوع الحادثة وانه كان يود لو يلقاني ليعتذر لي بنفسه لولا انه أصيب منذ ثمانية أيام بأسر ال تحول الى دوسنطارية وانه كلفه الاعتذار باسمه وأن يخبرني ان الحاكم العام (موسيو نيجر) سافر أو يسافر الى طرابلس لاجل هذه الحادثة ليحقق الامر فيها ويعاقب المسيئين وانه سيعزل حاكم طرابلس لأجلي . وكلفه أن يخبرني أيضا بأن الحكومة الفرنسية مستعدة للقيام بكل ما أطلبه من التعويضات المالية والادبية — وكرر علي ذلك قائلا مهما تطلب من التعويض يؤد بكل ارتياح .

قلت انني لا أطلب تعويضا ماليا وانني لم أخسر من المال شيئا يذكر وأما معاقبة المسيئين من الشرطة وغيرهم فهو لمصلحتكم لانه يرفع عنكم تهمة تعمد اهانة المسلمين وظلمهم وأنا لم أخسر شيئا من مقامي الادبي بظلمكم اياي بل ذلك مما يرفع مقامي في نظر أهل وطني وغيرهم ، الا أن حاكم طرابلس أمسك عنده اوراق وقفنا فأنا اطلبها لسعي في انجاز العمل فيها

قال اذا أنت لم تطلب لنفسك شيئا فأنا أطلب منك باسم الوطن السوري أن تترك مصر وتقيم هنا وتشتغل باصلاح بلادك فهي أولى بك لانها فقيرة من الرجال ونحن في حيرة من هذا الفقر ... نريد انشاء مجمع لغوي وان تكون أنت العضو الاول فيه وفي البلاد مصالح اسلامية خاصة أنت أولى باصلاحها أو ادارتها ونود أن تكون مستشارا للحكومة العليا في البلاد لتكون خدمتنا لها على الوجه المرضي للمسلمين أصحاب الاغلبية في البلاد وان ادارة هذه البلاد من أشق الامور وأصعبها لكثرة الاديان والمذاهب المتعادية فيها (وذكر أكثرها وأطال في استمالتي والثناء علي بلسنه وبشاشته)

فشكرت له هذه العناية والثناء واعتذرت عن الانتقال من مصر الى سوريه بما لا حاجة الى الاطالة به

وكان اتفق في هذه الاثناء أن دعا الحاكم العام للولاية (موسيو نيجر)

أكابر وجهاء المسلمين المعارضين لتأليفهم وسماع ما ينكرون على السلطة الفرنسية وما ينقمون منها فكان أشد ما ذكر له مما نقموا وأنكروا حادثتنا هذه. تكلم فيها في ذلك الاجتماع وغيره أكبر العلماء مفتي الولاية الشيخ مصطفى نجا والشيخ أحمد عباس وأيدهما كبار الوجهاء المشهورين بالشجاعة الادبية كالمرحوم أحمد عختار بيهم وأبي علي سلام فأكبروا من شأن صديقهم خادم الاسلام والوطن فحمل ذلك الحاكم على ان يطلبني ليسمع تفصيل الحادثة مني فاتفق ان طلبني مدير الامن العام في الوقت الذي حدده لي كتابة

جئت دار الحكومة بعد العصر من ذلك اليوم فقابلت مدير الامن أولا فأعطاني أوراقي وبلغني عن حاكم مدينة بيروت الاداري أنه يجب أن أسافر الى مصر في أول باخرة تسافر من بيروت الى الثغور المصرية . ثم دخلت على الحاكم العام فرحب بي واعتذر عن الحادثة متأسفا لوقوعها وقال إنها بلغته من مصادر مختلفة فأحب أن يعرف الحقيقة مني قبل سفره الى طرابلس فلخصتها له ، فأعاد التلطف في الاعتذار ووعد بالتحقيق ومعاقبة المسيئين فقلت له : ذلك شأنكم ولكن مدير الامن العام بلغني الآن انكم حكمتم علي بالنفي من البلاد ولم يبين لي سبب هذا الحكم القاسي فهل هذا ما وعدتم به من العدل ؟ وأنا لا أرضى عقاب احد بعزل ولا غيره لاجلي ، فان هذه الاساءة رفعت من قدري في نظر ابناء وطني ، ولكن حاكم طرابلس أرسل اليكم جميع أوراقي ماعدا الاوراق الرسمية المتعلقة بالوقف — ولخصت له خبرها — فأنا لا اطلب الا استرجاعها لاجل اتمام المعاملة الرسمية في الولاية بها . فظهر الاستياء على وجهه وكتب امراً بالغاء حكم النفي معتذراً عنه واما اوراق الوقف فوعد بان يحضرها معه . ثم ذهب الى طرابلس وبحث مع حاكمها العسكري في ذلك وبلغني أن هذا قد احتج لنفسه بان البوليس فعل مانقتضيه وظيفته الا اساءة المعاملة ، واما هو فلما علم بحقيقة الحادثة حولها الى الولاية ولم يسئ في شيء — وقد صدق في هذا — وبلغني انه وبخ لبيان ومساحه حتى وهددهما .

وهكذا كان شأن السلطة الفرنسية يوم اختيار الموظفين ، تقع في المشكلات وتتلافاها [illegible] ثم تعود الى مثل ما [illegible] وعدم [illegible] على ان الولاة ذلك ليس بالطبع السهل ولا عجب لبيان ذلك هنا لانما لا نكتب [illegible] ولا [illegible] تاريخية

تعلق مسلمي الساحل بفيصل وتأثيره

قد كان استغرابي لاغترار المسلمين بالانكليز وفيصل عظيما جدا ولا سيما بعد تنفيذ الانكليز لمعاهدة سنة ١٩١٦ باقتسام البلاد العربية بينهم وبين فرنسة، وأغرب من ذلك استغرابهم لتخطئتي اياهم في ذلك واعلامهم بما لم يكونوا يعلمون من امر ثورة الحجاز وحقيقة حال ملكها والامير فيصل وعلم الانكليز في السيادة على جميع البلاد العربية ما عدا هذه الحصة التي أعطتها لفرنسة من سورية، والجزم بأنها لن تعود الى منازعتها فيها وانتزاعها منها لتعطينا اياها، وانما يجوز بل يرجح أن تأخذها منها في يوم من الايام، اذا استقرت قدمها الاستعمارية فيما جرى لها من البلاد، وان تستخدمنا في ذلك كدأبها في ضرب الامم بعضها ببعض

كنت اقول في كل مجلس يدور فيه البحث في امر البلاد ان مثل انكلترة مع فرنسة في المسألة العربية كمثل جبار غاصب انتزع ضيعة لاسرة غنية من ايديها وأعطى بستاناً أو داراً منها لرجل كان مساعداً له فأي الرجلين أولى بخصام اصحاب الضيعة؟ آلذي اغتصبها أم صاحبه الذي أخذ داراً واحدة أو بستاناً منه ولولاه لم يأخذ شيئا؟ وهل يليق بالاسرة المالكة للضيعة أن تتمادى وتتنازع في تفضيل احد الغاصبين على الآخر أم الواجب عليهم أن يتفقوا على ما يجب عمله لاسترداد المغصوب؟

ثقل على كثير من وجهاء المسلمين قولي هذا من حيث كان مزلزلا أو مزيلا لما كانوا يمنون به أنفسهم ويسلون به همومهم وزاد ثقله على تلك الاسماع ووقعه في تلك القلوب ان كان ممن يوثق بعلمه، ولا يتهم في اخلاصه وحسن قصده، وأنه لا سبيل الى نقضه أو رده، فمنهم من كان يقول وكيف العمل، واذا لم يعمل لنا فيصل ووالده فمن؟ ومنهم من يسألني بادلال المودة والصداقة أن اكتم هذا لئلا ييأس الراجون، ويشمت المخالفون،

ذلك بأن أعضل امراضنا الاجتماعية أننا تعودنا التواكل بيننا، والاتكال على غيرنا، ولا تزال الاحزاب والجمعيات السياسية في سن الطفولة وقد رسخ خلق التنازع بين أهل الاديان والمذاهب، واذ كان النصارى ممتزين بالفرنسيس لم ير المسلمون بدا من الاعتزاز بالامير فيصل وبأنصاره الانكليز، وكنت أرى هذا التناظر ضارا في الحال، وسيء العاقبة في الاستقبال. وأن الاولى بالفريقين ان يتركوه ويرجعوا الى أنفسهم فيعطوها حقها ولا يمتهنوها ويجعلوا

جل اعتمادهم أو كله على غيرهم ، وأن يمروا [illegible] عليهم ، وأنه يستحيل أن يمر ويمتروا به ما داموا متغايرين متحاربين بسبب اختلاف الأديان والمذاهب ، والاتكال على الاجانب ، وكنت أرى أن إظهار المسلمين لذلك التعلق بفيصل — وان كان له مالا انكر من الباعث الطبيعي — قد زاد في كره أبناء وطنهم النصارى له ولهم ، ونفورهم منه ومنهم ، وحمل الفرنسيس على اتخاذه عدوا مبيناً وتوطين أنفسهم على مقاومة نفوذه في البلاد السورية وفي أوربة مما ، وانما كان يمتاز فيصل على وجهاء الوطن السوري في السعي السياسي لاستقلاله بكونه قد عد من قواد الحلفاء وأنصارهم فكلامه أجدر بالقبول لدى حكوماتهم ، فكان من المصلحة أن لا يخص بعضهم بالولاء وبعضهم بالعداء ، وأن لا يجعل أنصاره من المسلمين ما كانوا يظهرون من التعلق به والاحتفال بغدوه ورواحه اغاظة للنصارى الممتزين بفرنسة ، وكنت أرى الصواب في هذه المسألة أن لا يفتر المسلمون به ويتكلوا عليه ، وأن لا يخاف النصارى منه ، فصرحت في بعض المقالات التي نشرتها في جريدة الحقيقة للتأليف بين الفريقين على المصالح المشتركة بينهم في البلاد بأن فيصلا لا ينبغي أن يخيف أحداً من أهل البلاد اذا كانوا متفقين على القيام بشؤون بلادهم لانه ليس من أهل دولة أجنبية قوية يمكنه أن يستعين بمالها وجندها على جعل سورية تابعة لها اذا هو ولي امارتها بل يكون هو تابعاً لها حتى اذا فرض أن عادت بلاده الاصلية أو حاربتها لا يسعه الا مجاراتها أو الاستقالة من امارتها والخروج منها ، وضربت لذلك مثلا ملك البلاد الرومانية إذ اضطر الى قتال أبناء جنسه النمسي وهم الالمان اتباعا لارادة أمته السياسية ، وقد كان هذا القول مقنعاً لخصوم فيصل فلم يرد عليه أحد ، بل لم يكن أكثرهم يعلم أن الامر كذلك ، بل كانوا يظنون أن إمارة فيصل على سورية وترك فرنسة لها يستلزم إلحاقها بالحجاز ، وان ملك الحجاز رئيس ديني للمسلمين كالبابا عند الكاثوليك ، وقد صرحت في ذلك المقال بتخطئتهم في هذا الاعتقاد أيضاً

وقد رضي المسلمون بما كتبت في هذا المقال وسرهم عدم انتقاد النصارى له ولو جرؤا على هذه الحيلة قولا وكتابة وكنوا عن ذلك المسلك الذي يكرهه في شأنه لوقفت المعارضة له من الفرنسيس وأعوانهم عند حد ولم تنته الى ما انتهت اليه ، ولما كان تأثير عاقبة أمره في المسلمين الما شديداً كما كان ، ولكن

ذلك البيان لم يكرر ولم يعم فظل السواد الاعظم من النصارى يعتقد الى اليوم ان فيصلا كان يريد جعل سورية تابعة للحجاز وانه كان قادرا على ذلك لو تم له الاستواء عليها ، وكل من الامرين خطأ . ولم أكن أريد بهذه الخطة تأييد فيصل لذاته أو مشايعة لحزبه وأكثرهم من اخواني وأصدقائي وان كنت أعلم أنها أمثل ما يؤيد به ، وانما كنت أقصد أن لا يتعادى أهل وطني بسببه وان أدلهم على ما تحفظ به مصلحة الوطن اذا أتاح القدر له ان يكون أمير البلاد أو ملكها بنفوذ حلفائه

وجملة القول انني كنت أتحرى في كل ما كنت أقوله وأكتبه النصح لجميع أهل وطني مع المحافظة على ما ألزمتني اياه السلطة البريطانية بمصر وجعلته شرطا في الاذن لي بالسفر وان كان ظلما واعتداء على حريتي الشخصية في بلادي التي أنا أولى بالحرية فيها منهم ، ولم اكن أتبع لسلطة من السلطات التي قسمت البلاد ولا متحاملا على واحدة منهن تحيزا لخصيمتها ، ولا مهيجا على السلطة الاحتلالية ،

الدين والقوة والمصلحة في سياسة أوربة

واني أرجو أن يكون الزمان قد أثبت لاهل البلاد على اختلاف أديانهم ان جميع ما قلته في فرنسة وانكلترة والحجاز هو الحق وان جميع ما اقترحته هو المصلحة ، وان لم يتذكروا أقوالي ، فمن لم يكن ظهر له ذلك الى اليوم كله أو بعضه فسيظهر له عن قريب فيعلم السوريون وهم شعب غير مسلح انه لا قوة لهم الا بالاتحاد وجمع الكلمة ، وأن النعوب لا تنال من الحرية والاستقلال ولا من الكرامة والارتقاء مع احتلال أجنبي الا بقدر قوتها ، وان دول اوربة وان بنيت سياستها القديمة في الشرق الادنى على دعوى حماية المسيحيين وانصافهم أو انقاذهم من سلطة المسلمين فهي تتخذ الدين وسيلة الى مصالحها ولا تبالي بما يمارضها وان نسف الدين وأهله في اليم نسفاً .

والدليل على ذلك أن الدولة الفرنسية حامية المسيحيين الاولى في الشرق لا دين لها وانها قد قوضت الآن بنيان القاعدة الاساسية للسياسة الاوربية في الشرق — أعني قاعدة التنازع بين الهلال والصليب وسبقت حلفاءها الى الاتفاق مع الترك الوطنيين الاقوياء في الاناضول وصرحت بان لهم الحق في الاستقلال التام واستعادة ما أخذه الحلفاء المنتصرون منهم ، ورضيت بأن تنجلي لهم عن جميع كليكية ، وعن جزء عظيم الشأن من سورية ، والامة الفرنسية ترفع صوتها

ولا يريد كغيرها في سبيل اعادة المودة بينها وبين الاسلام وخليفة المسلمين ، وإذا رأت أن هذا من مصلحتها لم يصدها عن تنفيذه حماية المسيحيين في تلك البلاد ، ولا قاعدة ما أخذ الصليب من الهلال لايرد الى الهلال

وان الدولة البريطانية ترجح المصلحة على الدين أيضا وهي ذات الصبغة المسيحية الرسمية والملك الحامي للايمان وواضعة قاعدة الصليب والهلال التي ملأت الدنيا عنفا وتثريبا على فرنسة لاتفاقها مع مصطفى كمال باشا ناسخة للقاعدة الاوربية المذكورة آنفا بعد أن كانت متفقا عليها وتاركة حماية الاقليات المسيحية في كليكية فانها قد كانت سبقت الى خطبة مودة الكماليين فلم تظفر بها ، وصخت الارمن الذين دفعتهم الى عداوة دولتهم ، وتركتهم يذوقون جزاء غدراتهم وعصيانهم ، ولم تقبل أن تكون منتدبة لحمايتهم ، بل لتأمين ما اعترفت به من استقلالهم ، ثم إنها تريد أن تعيد سلطان اليهود القومي إلى مدينة المسيح (عليه السلام) ومهد دينه وهي تعلم أن ذلك يسوء كل مؤمن بالمسيح ولا يرضاه حتى من شعبها نفسه الا بفضل الجنيه عليه وعلى انجيله وأهل دينه ، وان كل ما يشكو منه أعداء الحجاز من المسيحيين ويسوءهم من تنفوذ أمرائه لانه مهد الاسلام ولحسبانهم أن سلطة شريف مكة كسلطة البابا فهو من أعمال بريطانية العظمى وانما الحجاز معبد ليس مقر سلطة ولا يصلح أن يكون كذلك ، وليس فيه قوة بحرية ولا مالية يفتح بها سورية أو يحفظها نفسه لو حاربته هي أو غيرها. وهذه الدولة مهتمة بالصلح مع الترك والاعتراف لهم بحق الاستقلال في بلادهم واحترام سلطة الخليفة التركي واظهار الرغبة في مساعدته كما فعلت فرنسة اذا هي عجزت عن إقناعها مع ايطالية ثانية بالاتفاق معها على الاجهاز على هذا الاستقلال

وأما امراء الحجاز فقد ظهر فيهم ما كنا نقوله لابناء الوطن السوري فيهم وهو أنهم لا رجاء فيهم للمسلمين ، ولا خوف منهم على المسيحيين ، لانهم لا حول لهم ولا قوة بأنفسهم وانما هم مسخرون لخدمة بريطانية العظمى ينال كل منهم من الحظوة عندها بمقدار خدمته لها وتمكين نفوذها في بلاده وسائر البلاد العربية كدأبهم في جميع البلاد التي مدوا اليها أيدي مطامعهم .

فلما كان فيصل أكثر مواتاة لهم جعلوه ملكا لمستعمرة العراق الجديدة وكم لديهم من السلاطين والامراء والالقاب الاخرى في المستعمرات والاملاك التي هي أوسع من العراق استقلالا ، وتفوذهم فيها أنصف وان لم يسم انتدابا ،

ولو واتاهم أخوه الامير عبدالله من قبل لسبقه الى ملك العراق ، وليته إذ لم يقبل لقب الملك في العراق لانه بغير ملك ، لم يقبل ما دونه في شرق الاردن ، وياليت ... وياليت ، ليت وهل ينفع شيئا ليت ، ليت شبابا بيع فاشتريت ! ... فعسى أن يثوب أهل سورية عامة الى رشدهم من قريب ويغسلوا عنهم ما لحقهم من عار التعصب وعدم الوطنية ليتحدوا اتحادا يضطر الاجانب الى احترامهم والرغبة في صداقتهم بدلا من استعبادهم ، ولا يأبى المسلمون حينئذ أن تكون حكومة لبنان مسيحية مستقلة لا سلطان لغيرها عليها وانا نضمن ذلك لمن شاء بما يقنعه ان شاء الله

نصيحتي للفرنسيس بتغيير سياستهم في سورية

قلت : انني قد اضطررت بسبب حادثة طرابلس لاطالة المكث في بيروت واشتغلت بمسألة الوقف بعد أن كنت وكلت من يقوم بذلك ، وفي أثناء هذه المدة جاءني بعض معارفي بموسيو (مرسيه لوي) وهو محسن الترجمة وكان قد زارني بمصر فكان مما ذكره لي أنه يبلغهم عني غلو عظيم في شدة المعارضة والمقاومة لهم ولكنهم لا يأخذون الكلام على علاته بل يتروون ويحققون الى أن يقفوا على الحقيقة . فقلت له إن عندي قاعدة أتحرى تطبيق عملي عليها وهي أن الرجل من لا يقول قولا يحتاج الى إنكاره وانني أعدك وعداً مؤكداً بشرفي بانك لو سألتني عن كل ما نقل اليكم عني لصدقتك في الاعتراف بالصحيح وإنكار ما عداه لتعلموا مقدار غش جواسيسكم ، والا فانني أخبرك اجمالا بسيرتي في البلاد . إنني لست قائما بدعوة الى مقاومتكم ولا الى تأييد نفسكم ولكنني من رجال الاستقلال ومعارضي السلطة الاجنبية ومشهور بهذا . فانا أصرح برأيي ومشربي اذا اقتضت الحال ذلك ولا أنتقدكم باكثر مما أنتقد به الانكليز والشريف حسين والشريف فيصل ، وانني معتقد أن محاولتكم استعمار سورية ليس خيراً لكم ولا لها ولو فرض أنني اعتقدت أن استعماركم لها خير لها لما كان لي أن اصرح بهذا الاعتقاد المخالف لما يعلم كل الناس من مشربي وثباتي عليه اذ يكون التصريح مظنة ريبة في كونه اعتقاداً مرضياً . قال هذا كلام صحيح

ثم شرحت له رأيي في بيان كون اقتسام سورية والعراق بينهم وبين الانكليز ضرراً لهم لما سيكون من عاقبته في عداوة العالم الاسلامي لهما وكون عبئهم في

هذه القسمة أعظم من تبين حلمائهم بصغر حصتهم وعسر التصرف في أهلها وما يتوقعهم من انقلاب النصارى عليهم وقد بدت بوادره ، وان الخير لهم في حصتهم من سورية أن تكون مستقلة استقلالا صحيحا وجعلها صديقة لهم وحينئذ ينتفعون منها باختيار أهلها من غير خسارة فوق ما ينالهم من النفع بسبب السيادة العسكرية فيها ويربحون صداقة الامة العربية كلها ويأمنون ضرر عداوتها وجعلها آلة بأيدي الانكليز . وذكرت له انني نصحت للانكليز بمثل هذه النصيحة (١) فمنعهم الغرور والطمع والتعصب الديني من الاصغاء . ولخصت له معنى مذكرتي لرئيس الوزارة البريطانية وقد سبق ذكرها في المنار غير مرة . فأعجبه كلامي واقترح علي أن اكتب مذكرة للجنرال غورو بذلك وهو يترجمها له ليرسلها الى باريس فامتنعت من الكتابة وقلت له بلغه أنت ذلك

بعد هذا ذهبت الى دمشق إجابة لطلب الامير فيصل ثم عدت الى بيروت في أول مارس سنة ١٩٢٠ لاقناع وجهاء بيروت المنتخبين للمؤتمر السوري بالذهاب إلى دمشق لحضور جلسة المؤتمر التاريخية التي تعلن استقلال سورية وفي ٤ مارس جاءني كتاب من (موسيو مرسيه لوي) يقول فيه بعد رسوم الخطاب « إن سعادة الجنرال غورو قد عين لكم ٥ آذار الساعة ٦ افركي مساء ميعاد استقبالكم في السراي »... وكان هذا الطلب بسبب مخابرته إياه بموضوع حديثنا لا بطلب مني ولا علم لي بوقت الموعد فبلغت أن موسيو مرسيه الذي سيترجم بيني وبين الجنرال قد ذهب الى قنصل أميركة في عمل رسمي أبطأ فيه فانتظرناه متوقعين مجيئه في كل دقيقة زهاء ساعة ونيف فلما حضر دخلنا حجرة الجنرال فتلقانا أمين سره (الكرتير موسيو روبير دوكيه) وبلغنا بعد التحية أن ميعاد الجنرال ذهب ببعضه (موسيو مرسيه) فهو يعتذر عنه باسمه ويحل محله فيما طلبني لاجله اذا كان لدي سعة في الوقت . قلت ليس لدي مانع من البحث . وانما ذكرت هذه القصة ولم الخص حديثي معه بدونها للاعلام بأن الجنرال نفسه كان حريصاً على البحث في هذا الموضوع المهم وهو كون استقلال سورية وحريتها خيراً لفرنسة من استعمارها باسم الانتداب وقد يتعجب كثيرون من نتيجة ما أقصه من حديثنا ويرون فيه دليلا على تقصير السوريين في السعي المعقول لدى الفرنسيس بأمر مهم وان رضاهم باستقلال سورية ممكن (لها بقية)

(١) النصح يقابل الغش والخداع ولا يتضمن استملاء من الناصح